المعارضات الأدبية في مرآة النقد

قراءة في نموذج أدبي أندلسي

د. ليلى سالم البدراني*

R-L4EVER@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/09/02م	تاريخ القبول: 2021/11/28م

الملخَّص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن تلقِّي النُّقَّاد للمعارضات الأدبية في ضوء التلقي النقدي، من خلال استعراض نموذج أندلسي للدراسات التي تصدّت للمعارضات التي دارت حول شعر ابن زيدون وأدبه، وكيفية تلقيهم إيّاه، وطرق النقاد في تناولهم لتلك الدراسات في ضوء نظرية التلقي، وبيان مدى التأثير والتأثر في الأدب الأندلسي بصورة عامة، وأدب ابن زيدون بصورة خاصة؛ لما لأدب ابن زيدون، وخصوصًا شعره، من أهمية كبيرة في الوسط الأدبي والنقدي، فضلًا عن قيمته الفنية التي يمثلها في الأدب العربي في العصر الأندلسي؛ إذ مهد البحث بالحديث أولًا عن أهمية التلقي في النقد الأدبي، مركزًا على تلقي النقاد للمعارضات الأدبية في أدب ابن زيدون، ثم أبان عن حضور نونية ابن زيدون في المعارضات، موضحًا علاقتها بنونية البحتري، وأخيرًا أوضح ملامح التشابه بين الرسالة الهزلية ورسالة التربيع والتدوير، وأظهرت نتائج البحث أن هناك تأثرًا وتأثيرًا كبيرًا في معارضات ابن زيدون وخصوصًا نونيته؛ مما يدل على أهمية شعره وقيمته الفنية.

الكلمات المفتاحية: المعارضات، نقد النقد، شعر ابن زيدون، الأدب الهزلي.

---

* أستاذ الأدب القديم المساعد - قسم اللغة العربية - كلية الآداب والفنون - جامعة حائل - المملكة العربية السعودية.

الآداب للدراسات اللغوية والأدبية
مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508

Literary Pastiches in the Mirror of Criticism

A Reading in an Andalusian Literary Model

Dr. Laila Salem Al-Badrani*

R-L4EVER@hotmail.com

Received date: 02/09/2021	Acceptance date: 28/11/2021

Abstract:

This research aims to reveal the critics' reception of literary pastiches in the light of critical reception by reviewing an Andalusian model of studies that addressed the pastiches that revolved around Ibn Zaydun's poetry and literature. The research focuses how the critics received this type of literature and approached these studies in the light of the reception theory. It indicates the extent of the impact and influence on Andalusian literature in general, and Ibn Zaydun's literature in particular because of the great importance it possesses in the literary and critical milieu. The research began by talking about the importance of reception in literary criticism, highlighting the critics' reception of literary pastiches in Ibn Zaydun's literature, showing the presence of Ibn Zaydun's *Noniyya* 'Ode of Lamentable Separation' in the pastiches, and explaining its relationship with Al-Buhturi's *Noniyya*. Finally, the research clarified the features of the similarity between the comic literature and the literature of *at-Tarbea `wa at-Tadweer* 'squaring and rotating', The results of the research showed that there is a great impact and influence in Ibn Zaydun's pastiches, especially his *Noniyya* ; which indicates the importance of his poetry and its artistic value.

Keywords: Pastiches, Criticism of Criticism, Poetry of Ibn Zaydun, The Comic Literature.

* Assistant Professor Ancient Arabic Literature, Department of Arabic Language, Faculty of Literature and Arts, University of Hail, Saudi Arabia.

مقدمة:

يكشف هذا البحث عن تلقي النقاد للمعارضات الأدبية التي دارت حول أدب ابن زيدون وخصوصًا ما اشتهر من شعره، كنونيته الشعرية التي ذاع صيتها في المشرق والمغرب، وحازت اهتمام النقاد القدامى والمحدثين، كما يهتم بالكشف عن طرق النقاد في تصديهم لتلك الدراسات في ضوء نظرية التلقي، وركز البحث على تلك الدراسات التي عنيت بالمعارضات الأدبية لكثرتها، حتى عدّت ظاهرة لافتة دفعت الباحثة إلى إفرادها بالدراسة والتحليل؛ لمعرفة مدى حضورها وأهميته والفروق بينها وبين النماذج الأخرى التي عارضتها، وهنا تكمن مشكلة البحث.

وغاية الباحثة في ذلك هي الكشف عن تلك الدراسات التي اهتمت ببيان تأثر ابن زيدون بمن سبقه من جهة، وتأثيره فيمن جاء بعده أو عاصره من جهة أخرى، وجاء اختيار الباحثة لابن زيدون بصورة خاصة؛ نظرًا لتلك الأهمية التي يمثلها شعره في الوسط الأدبي والنقدي القديم والحديث، فضلًا عن قيمته الفنية التي يمثلها في الأدب العربي في العصر الأندلسي؛ إذ تبوأ ابن زيدون مكانة رفيعة في الأدب العربيّ في الأندلس، وفي الحركة النَّقديّة العربيّة بشكل عام قديمًا وحديثًا. وتندرج هذه الدّراسة ضمن الدراسات النقدية؛ مما يستدعي الاستعانة بالآليّات الإجرائية للتّلقِّي والتّأويل في الكشف عن كيفيّة تلقِّي النُّقاد لأدب ابن زيدون في تلك المعارضات بالاعتماد على أدوات نظرية التلقي، انطلاقًا من أن لكلّ ناقدٍ رؤيته ومنهجه الخاصّ؛ ومن ثم لا يلتقي النُّقاد في أفقٍ واحدٍ للتَّلقِّي.

أولًا: أهمية التلقي في النقد الأدبي

بالنّظر إلى واقع نظريات تحليل الأدب وتأويله في سياق مدارس النَّقد الغربي، نجد التباين الواضح في منطلقاتها رغم تعايش بعضها مع بعض، فنجد إحداها تؤرّخ للأدب بالتركيز على الأدباء أنفسهم من حيث حياتهم والعوامل الخارجيّة المؤثّرة فيهم، فضلاً عن دواخلهم ونفسياتهم، وأخرى تنظر إلى الأدب من زاوية أيدلوجيّة ترتبط بالبنية السائدة، ونظرية أخرى تلتفت إلى النّصّ الأدبي بوصفه كيانًا لغويًا أو بوصفه نشاطًا لغويًا مستقلاً بذاته، وتعلن موت المؤلف، ثم جاءت نظريات ما

بعد البنيوية لتعلن أهمية القارئ في العملية الإبداعية، والقول بلانهائية القراءة انطلاقًا من مصطلح العمل المفتوح. أما نظريّة التَّلقِي فهي إن كانت تتقاطع مع توجهات تلك النظريات، فإنها تمتاز عنها بكونها تُعنى ببناء المعنى وإنتاجه، وليس مجرد الكشف عنه أو الانتهاء إليه[1].

ولعلّ هذا التركيز على المتلقِّين (القرّاء) هو ردة فعل لإغفال النظريات التي سبقتها في العملية الإبداعية، فأصبح دور المتلقي بؤرة الاهتمام، والمهيمن على الساحة الأدبية، فلم يعد مجرد متلقٍ منفعل بالعمل، بل أصبح دوره فاعلاً؛ إذ عدّت نظريّة التَّلقِي النّصّ واقعًا في دائرة الجمود ما دام بعيدًا عن أيدي المتلقِّين، ولن يتحقق له وجوده الواقعي إلا بعد أن يصبح بين أيدي القراء والمتأولين[2]. ومن هنا فإن لكلّ ناقدٍ رؤيته ومنهجه الخاصّ به؛ بحيث لا يمكن أن يلتقي النُّقاد في أفقٍ واحدٍ للتَّلقِي.

ثانيًا: تلقي النقاد للمعارضات الأدبية في أدب ابن زيدون

تُعَدُّ قضية التأثُّر والتأثير في الأدب الأندلسي بصفة عامة، وربط هذا التأثر بالأدب المشرقي بصفة خاصة، من أهم القضايا الأدبية التي تناولها النُّقاد بالشرح والتحليل والبحث والتعليق، وتندرج ضمن المنهج التاريخي السِّياقي الذي لا ينظر إلى جماليات النص، ومن المعلوم أن قضية التأثير والتأثر تبحث في الدليل التاريخي الذي يثبت تأثر الثاني بالأول؛ ومن ثم تكون الأفضلية للأسبق.

وقد ورد تأثير ابن زيدون عن طريق المعارضات الشّعرية التي تحدث عنها النُّقاد، ومن هذه الدراسات دراسة عدنان محمد غزال في كتابه (معارضات قصائد ابن زيدون)، وقد كان هدف الدّراسة وطريقتها اختيار بعض قصائد الشّاعر الكبير ابن زيدون وما أثارته في تسعة قرون من أصداء شعرية على اتساع الأرض العربية، وجمعت القصائد الأصل، والقصائد الصدى في كتاب واحد؛ لتكون هذه القصائد باقة متناسقة أمام ناظر القارئ المتذوّق، فيقول: "وقد توخّينا في هذا الجمع هدفين: الأول أن نلفت نظر القارئ في عهد ما يدعى ما بعد الحداثة، كما يتوهم البعض؛ حيث

يصبح التراث كلمة ممقوتة لديهم، إلى أن التواصل هو سمة بارزة من سمات الشّعر العربي، وأن الشّعراء وعلى مرّ العصور، كانوا ينطلقون من التراث، ومن أصفى ينابيعه؛ لكي يؤسسوا منابع جديدة للشعر، وبذلك ندرك أنه لا يمكن لأي شاعر مهما أوتي من موهبة أن يلغي من حسابه هذا المخزون الهائل من الشّعر الذي خلّفه لنا الأسلاف وجسّدوا فيه قسماتهم، وأودعوه وصيتهم إلينا، وأن يبدأ من فراغ أو من تراث أمة أخرى؛ فالتراث ليس مادة محايدة، بل هو الأمة مجسّدة في كلمات، وأن إنكار هذا التواصل ليس عقوقًا للأجداد فحسب، بل هو حرف للمخيلة الشّعرية عن تطورها السليم"[3].

كما تحدث عدنان عن النونية وشهرتها عند النُّقاد والشّعراء قديمًا، وعن شهرتها في النَّقد الحديث ولدى الشّعراء المحدثين، وقد بدأ بذكر تأثر الأندلسيّين والمغاربة القدماء بالنونية، فذكر قول ابن بسام: "وقد عارضه فيها جماعة قصروا عنه"[4]. ويتساءل الدارس: "أين الشّعراء الذين عارضوا نونية ابن زيدون؟ إن ابن بسام يقول: "منهم ابن الملح"، ثم لا نجد لغيره ذكرًا في أثناء كتابه الذخيرة، وهذا حال ابن بسام، فما حال مؤرّخي الأدب الآخرين من الأندلسيين؟[5].

وللإجابة عن هذا السؤال؛ أخذ الدارس يتتبع معظم آثارهم، بَيْدَ أنه لم يقع على ما يشفي الغليل؛ ذلك بأنهم جميعًا لم يذكروا مَنْ عارضها ما خلا المقَّري الذي أشار إلى أبي بكر ابن الملح، وإلى دخول ابن الوكيل على أعجازها، ثم قال: "فهي وإن اشتهرت بالمشرق والمغرب لم يذكر جملتها إلا القليل، وقد كنت وقفت بالمغرب على تسديس لها لبعض علماء المغرب، ولم يحضرني منه الآن إلا قوله في المطلع:

مـا للعيـونِ بسـهمِ الغـنجِ تصـمينا وعـن قطافِ جنى الأعطافِ تحمينا

ثم ذكر بعد المقطع بيتين وثلاثة أبيات استحسنها في هذا التسديس[6].

وقد حظيت هذه القصيدة بعناية المشارقة الذين أعجبوا بها وبقائلها، وبدا لهم فيها أن يخمّسوها أو يدخلوا على أعجازها، أو يضمّنوا بعض أبياتها في قصائدهم، ولم يكتفوا بذلك، بل شرحوا رسائل صاحبها في مؤلفات أفردت لها خاصة.

ولقد وقف الدارس على عدد وافر من القصائد التي ماثلت النونية الزيدونية في حرف رويّها ووزن بحرها، وخالفتها في الموضوع، فطرحها، واكتفى بأربع قصائد، وموشحة واحدة لابن الوكيل، وكان أصحاب القصائد على وفق ترتيبهم في القسم: شمس الدين الكوفي، وصفي الدين الحلي، والصنعاني، وابن نباتة المصري.

ومن اللافت أن الدارس هنا قد تخير قصيدة الحلّي مع أنها تخالف النونية في الموضوع؛ حيث إنَّ موضوعها في الرثاء، وكان سبب التخير أنَّ الشّاعر المعارض قد خَمَّس هذه القصيدة، وعمله هذا فيه إشارة مؤكدة إلى أنه يحاكيها ويماثلها ويعارضها، "والشيء بالشيء يذكر؛ فإني اطّرحت قصيدة الصفدي التي دوّنها في كتابه تمام المتون؛ لأنها تخالف موضوع الزيدونية النونية، ولم يضمنها شيئًا مما جاء في هذه الزيدونية"[7].

وبعد ذلك تعرض الدارس لمعارضات شعراء القرنين التاسع عشر والعشرين شعرَ ابن زيدون "النونية نموذجًا"، ويقف في طليعة هؤلاء الشّعراء إبراهيم الأحدب الطرابلسي الذي كان مولعًا بابن زيدون وبشعره، فحاول تقليده ومحاكاته مستندًا إلى إعجاز نونيته في موشّحٍ مطلعه:

أجـــرى مآقينـــا بُعْـــدُ المحبّينَـــا ونـــابَ عَـــنْ طِيـــبِ لُقْيانَـــا تجافينَـــا
يـــا طِيـــبَ أوقـــاتي بســـفْحِ نعمـــانِ إذْ نِلْـــتُ لـــذَّاتي بوصْـــلِ نعمـــانِ[8]

وما كان يكفيه هذا الموشح للدلالة على مقدرته الفنية؛ فما كان منه إلا البحث عن وسيلة أخرى ترضي طموحه وما يجول في نفسه، فأخذ يصوّر في قالب مسرحي جميل صورة الوزير العاشق مع فاتنته الأميرة ولّادة بنت المستكفي، وما كان ليرضيه إلا لغة ابن زيدون الشّاعرية وصوت جرسه الذي شرع يوزعه على معظم أبطال مسرحياته، لا مسرحية ابن زيدون وحدها[9].

ثم يلي هذا الشّاعر شاعران: أولهما الشّاعر حسن حسني الطويراني التركي الأصل القاهري الدار والمنشأ، وله قصيدة خَمَّسَ فيها تسعة وثلاثين بيتًا من أبيات النونية الزيدونية، والآخر: الشّاعر عبدالله فريج الذي جاء بواحدٍ وعشرين بيتًا منها.

وبعد هذين الشّاعرين تخير الباحث مجموعة من قصائد الشّعراء الذين عاشوا في عصر أمير الشّعراء أحمد شوقي، وكانت قصيدته النونية في طليعة القصائد المتخيرة[10]، كما تخير الباحث مجموعة أخرى من القصائد التي شُهِرَ أصحابها بعد رحيل أميرهم، وكان من أبرزهم الشّاعر محمد مهدي الجواهري الذي ما فتئ يعزف أحلى القصائد في الشوق والحنين والفراق؛ حيث أمضى شطرًا كبيرًا من حياته غريبًا عن وطنه، وصارت نونية ابن زيدون معادلاً لموضوعه الدائم الذي آلى على نفسه حمله كلما خبت جذوة الحنين، وظلَّ وفيًا حتى آخر ساعة من حياته، ولم يكحل عينيه برؤية هذا الوطن الذي عشقه عشق الأحبة والمعذَّبين.

ولم تقتصر معارضات الشّعراء على نونية ابن زيدون رغم اشتمالها على النصيب الأكبر، فقد عارض الشّعراء قصائد أخرى لابن زيدون منها كافيته الشهيرة:

مـا للمـدامِ تـديرُهَا عينـاكِ فيميـلُ في سـكرِ الصِّـبَا عطفـاكِ؟

التي عارضها أحمد شوقي، وعلي الجارم، وعلي عبدالعظيم، وعمر اليافي[11].

وكذلك قصيدته:

ألمْ يأنِ أنْ يبكي الغمامُ على مثلي ويطلبَ ثأرِي البرقُ منصلتَ النَّصلِ[12]

كتب على منوالها علي عبدالعظيم مسرحية ذكرها الباحث في مصنفه.

وكذلك معارضتهم لقصيدة ابن زيدون:

إنّي ذكرْتُكِ، بـالزّهراءِ، مشـتاقَا والأفـقُ طلـقٌ ومـرْأَى الأرضِ قـدْ راقَـا[13]

ذكر معارضات لها عدّة، منها معارضة ناصر الدين الأسد، واستمرَّ الكاتب في ذكر قصائد ابن زيدون التي جرى معارضتها على وفق النَّسق الذي بيَّنه[14].

ونلاحظ على الباحث أنه اكتفى بسرد المعارضات والقصيدة الأصل، دون تبيان لأي تذوق جمالي وبلاغي للأبيات أو القصيدة بشكل عام، فقد جمع القصائد تاركًا للمتلقِّي -كما يقول- القراءة والتذوق، إلا أنه أثبت من تلك المعارضات التي ذكرها مدى تأثير ابن زيدون في الأدب العربي.

ومن الدراسات النَّقدية في مجال المعارضات ما ذكره عيسى السعدي في كتابه، "ابن زيدون شاعر الحب والشكوى"، فقد ذكر قصيدة ابن زيدون[15]:

هَـل تَـذكُرُونَ غَرِيبًـا عَـادَهُ شَـجَنُ مِن ذِكرِكُم وَجَفَا أَجفَانَهُ الوَسَنُ؟!

المعارضة لقصيدة المتنبي:

بِـمَ التّعَلُّـلُ لا أهْـلٌ وَلا وَطَـنُ وَلا نَـديمٌ وَلا كـأسٌ وَلا سَـكَنُ[16]

وقد سرد ملحوظات ومقارنات بين القصيدتين ليوحي بمدى التأثر والتأثير بينهما؛ فبنظرة إلى هاتين القصيدتين تجد ما يأتي:

أنَّ ابن زيدون عارض شاعر الحكمة بقصيدة قليلة الأبيات، فبلغت عشرة أبيات فقط، وقصيدة المتنبي بلغت خمسة وعشرين بيتًا، كما أنّ القصيدتين نُظِمَتَا على بحر واحد (البسيط) بتفعيلاته الواسعة والعريضة، والسلسة الغنّاء التي تتسع لكمٍّ هائل ومؤلم من مشاعر اللوعة والأسى والاغتراب والسجن، بكل ما تحمله موسيقاها من أنين وحنين ورجاء[17].

تلاقت معارضة ابن زيدون بِستٍّ من كلمات قافية المتنبي، وهي: (سكن، الوسن، حزن، مرتهن، يمتحن، الزمن) كما نجد أنَّ قصيدة ابن زيدون انتهت بالبيت نفسه الذي بدأ المتنبي قصيدته به، وتلاحظ أن هذه جميلة ومستحبة[18]، وربما تشير إلى مدى تأثر الشّاعر ابن زيدون، بشاعر الحكمة (المتنبي).

وبالنظر إلى مطلع قصيدة ابن زيدون[19]:

هَـل تَـذكُرُونَ غَرِيبًـا عَـادَهُ شَـجَنُ مِن ذِكرِكُم وَجَفَا أَجفَانَهُ الوَسَنُ؟!

وخاتمتها بالبيت:

بِـمَ التّعَلُّـلُ لا أهْـلٌ وَلا وَطَـنُ وَلا نَـديمٌ وَلا كـأسٌ وَلا سَـكَنُ

يبدو جليًا تكرار المعنى الذي حقّقه ابن زيدون، وجعله صلة بين مطلع قصيدته وخاتمتها، فقد كرَّر معنى الغربة وألم الوحشة والوَحْدَة، فجاء النّصّ بخاتمةٍ تذكّر بمطلعه[20].

حاول الناقد الوقوف على هذه المعارضة بالموازنة بين معاني القصيدتين وإظهار مدى تأثر ابن زيدون من حيث الألفاظ والإيقاع، فكانت المعارضات –حسب النُّقاد- أبرز تعبير عن التأثر والتأثير الذي سيأتي ذكره لاحقًا، وإن اختلفت الأشكال التي حوت هذا التأثير والتأثر، فإنها أثبتت ما لأدب ابن زيدون من قيمة وثقل في النَّقد والأدب العربيين.

ثالثًا: حضور نونية ابن زيدون في المعارضات

تكمن أهمية القصيدة النونية الخالدة لابن زيدون في أنه نظمها في عشيقته الأميرة ولَّادة بنت المستكفي، بعد ما جرى بينهما من قطيعة وتفرق، وقد قالها بعد فراره من السجن، فجاءت هذه القصيدة بعد تجربة عاطفية صادقة تذوق فيها الشّاعر مرارة الهجر والحرمان بعد الوصال، فأنشد نونيته التي نالت حظها من الذيوع والشهرة فكانت رمزًا للشعر الغزلي العفيف في الأندلس، وأكثر ما يلفت نظر المتلقِّي لهذه القصيدة هو النغم الموسيقي العذب، وتلك التناقضات في حال الشّاعر، والصور البديعية الآسرة في تناسق عجيب، والقصيدة من البحر البسيط؛ لبساطة تراكيبها، وسهولة أدائها. وعدد أبياتها في الدّيوان المحقَّق واحد وخمسون بيتًا، والنونية متنوعة المفردات والتراكيب؛ مما ينمّ عن قدرة الشّاعر الأدبية وتحكّمه في اللغة والأسلوب.

وسأعرض بعض آراء الدارسين والباحثين التي تناولت نونية ابن زيدون ومعارضاتها من ناحية معارضة ابن زيدون لغيره من الشّعراء وتأثره بهم في نونيته، والعكس، مع تبيان الشواهد التي أوردها الدارسون.

وهذه نونيته التي قال في مطلعها:

أضْحَى التّنائي بَديلاً مِنْ تَدانينَا ... وَنَابَ عَنْ طيبِ لُقْيانا تجافينَا
ألاّ وَقَد حانَ صُبحُ البَينِ، صَبّحَنا ... حَيْنٌ، فَقَامَ بِنَا للحَيْنِ نَاعينَا
مَنْ مبلغُ الملبسِينا، بانتزاحِهمُ ... حُزْنًا مَعَ الدّهرِ لا يبلى ويُبْلينَا
أنَّ الزَمانَ الَّذي ما زالَ يُضحِكُنا ... أنْسًا بِقُربِهِمُ قَدْ عادَ يُبكِينا

غِـيظَ العِـدَا مِـنْ تَسـاقِينا الهـوَى ... بِـأن نَغَـصَّ، فَقَـالَ الـدّهرُ آمينَـا

فَانحَـلّ مـا كـانَ مَعقُـودًا بأنفُسِـنَا ... وَ انبَـتّ مـا كـانَ مَوْصُـولاً بأيْـدِينَا

وَقَـدْ نَكُـونُ، وَمَـا يُخشَـى تَفَرّقُنـا ... فـاليومَ نحـنُ، ومَـا يُرْجَـى تَلاقينَـا

يـا ليـتَ شـعرِي، ولـم نُعتِبْ أعـاديَكم ... هَـلْ نَـالَ حَظًّا مـنَ العُتبَى أعادينَا[21]

ينبغي أن نقف عند أهم الآراء النَّقدية التي تحدثت عن هذه القصيدة وأشادت بها، فمحقق الدّيوان، يشيد بها وكأنها كنز أدبي أنتجه ابن زيدون حتى دارت حولها الأساطير، فقال: "هذه القصيدة الخالدة التي نالت شهرة عظيمة، ولهج كثيرون بأنَّ إنسانًا لا يتم له الظرف ما لم يحفظها، وقد شغف بمعارضتها وتخميسها وتسديسها كثيرون، ولكنها ظلَّت سامقة في مكانها الرفيع"[22].

على أن القدماء افتتنوا بنونية ابن زيدون فقرروا "أنَّ مَنْ لَبِسَ البياض، وتختّم بالعقيق، وقرأ لأبي عمرو، وتفقه للشافعي، وروى قصيدة ابن زيدون، فقد استكمل الظَّرْف"[23]. وقد نسجوا حولها الأساطير؛ "فزعموا أنه ما حفظها أحدٌ إلا مات غريبًا، وحاول كثيرون وما زالوا يحاولون معارضتها؛ فيقصرون سواء منهم من عاصره ومن تلاه، ومن أشهر معارضيه أبو بكر بن الملح، وصفي الدين الحلي، وابن الوكيل، وابن حمديس، وقد عارضها في العصر الحديث إسماعيل صبري، وشوقي، وحافظ، وستظل مصدرًا للكثير"[24].

كما قال عنها حسن جاد حسن: "فهي أعظم قصائد ابن زيدون حظًّا من الذيوع والشهرة، وبعد الصِّيت، ولو لم يكن له سواها لأغنته بهذا الدويّ الذي أحدثته في البيئات الأدبية، وتلك المدرسة التي خلقتها من الشّعراء الكثيرين في كل عصر، الذين أعجبوا بها وعارضوها"[25]، وقال الصفدي: في حديثه عن قصائده: "... ومن ذلك قصيدته النونية التي سارت في البلاد وطارت في العباد..."[26]. ويقول ابن خاقان: "وهي قصيدة ضربت في الإبداع بسهم، وطلعت في كل خاطر ووهم، ونزعت منزعًا قصر عنه حبيب، وابن الجهم"[27].

هذه المكانة الأدبية العظيمة التي بلغتها النونية، وهذا الاهتمام الكبير الذي حظيت به من الدارسين لهما أسبابهما وميزاتهما التي أسهمت في أن تكون موضوع بحث لدى الكثير منهم قديمًا وحديثًا، فقد حاكوها وشرحوها وحلَّلوا أبياتها وتغنّوا بها.

"ولقد اشتهرت قصيدة ابن زيدون النونية اشتهارًا عظيمًا؛ وذلك لصدق عاطفتها، فقد قالها في ولَّادة حبيبة عمره، ولصدق العاطفة في هذه القصيدة كُتِبَ لها الخلود، وجعلها درة من الدرر النادرة في عالم الشّعر العالمي، ولا نقول في الشّعر العربي فحسب"[28].

وقد ذكر بعض الباحثين أنَّ قصيدة ابن زيدون جاءت متأثرة بقصيدة البحتري في مدح ابن طولون، وإن اختلف الغرض، فإنَّ الأربعة عشر بيتًا للمقدمة الغزلية التي جاء بها البحتري كانت سببًا كافيًا لأن يتأثر بها ابن زيدون ويكتب نونيته؛ فقد "نظر ابن زيدون إلى نونية البحتري في مدح خمارويه بن طولون فأعجبته، فعارضها بقصيدة خالصة في الغزل، ومن ثمَّ تأتي المعارضة مُنصبَّة على الجزء الأول من النّصّ النموذج، وليس هناك أدنى شك في أن تكون معاني الغزل التي حوتها مقدمة قصيدة البحتري الغزلية في أبياتها الأحد عشر مصدرًا لإلهام ابن زيدون بصوغ قصيدته في ولادة"[29].

فيقول البحتري:

يَكَـادُ عَاذِلُنَـا فـي الحُـبِّ يُغْرِينَـا ... فَمَـا لَجَاجُـكِ فِـي لَـوْمِ المُحِبِّينَـا

نُلْحَى عَلَى الوَجْدِ مِنْ ظُلْمٍ، فَدَيْدَنُنَا ... وَجْـدٌ نُعَانيـهِ أَولاَحٍ يُعَنِّينَـا

إِذَا زَرُودُ دَنَـتْ مِنَّـا صَـرَائِمُها ... فَـلاَ مَحَالَـةَ مِـنْ زَوْرِيُوَ افِينـا

بِتْنَـا جُنُوحًـا عَلَى كُثْـبِ اللِّـوَى فـأَبَى ... خَيَـالُ ظَمْيَـاءَ إِلا أن يُحَيِّينَـا

وَفـي زَرُودَ تَبيـعٌ لَـيْسَ يُمْهِلُنَـا ... تَقَاضِـيًا، وغَـرِيمٌ لِـيْسَ يَقْضِـينَا

مَنَـازِلٌ لَـمْ يُـذَمَّمْ عَهْـدُ مُغْرَمِنَـا ... فِيهَـا، ولا ذُمَّ يَوْمًـا عَهْـدُها فِينَـا

تَجَرَّمَـتْ عِنْـدَهُ أَيَّامُنَـا حِجَجًـا ... مَعْـدُودَةً وَخَلَـتْ فيهـا لَيَالِينَـا[30]

وذهب إلى هذا الرأي الصفدي؛ حيث قال: "وأظن أنَّ ابن زيدون عارض بها البحتري في قوله: يكاد عاذلنا..."[31].

وقد خمّس الشيخ صفي الدين الحلي قصيدة ابن زيدون المذكورة، وجعلها مرثيته في الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماة، فأحسن ما شاء"[32].

ثم تحدث عن نفسه مشيرًا إلى تأثّره بها، فقال: "وكنت وأنا بزمن الشبيبة قد نظمت مرثية في بعض الأصحاب الأعزّة بصفد على وزن قصيدة ابن زيدون هذه ورويها، وهي:

تحكَّمَتْ بعدَكُم أيدي النَّوى فينا وقدْ أقامتْ بنادِينَا تُنَادِينَا

وجرَّعتنا كؤوس الحزنِ مترعةً مزاجها كان زقّومًا وغسلينَا[33]

وأشار شوقي ضيف إلى ذلك التأثير والمكانة التي حظيت بها النونية؛ مما "جعل كبار شعرائهم من همهم أن يعارضوا بعض قصيده، كي يظفروا ببعض أنغامه، فعارضه صفي الدين الحلي، والصفدي، وأخيرًا شوقي في نونيته الأندلسية؛ إذ صاغها على نمط نونية (أضحى التنائي بديلاً من تدانينا)، كما صاغ كافيته اللبنانية التي يغني مقطوعة منها عبدالوهاب على نمط كافيته (ما للمدام تديرها عيناكِ)، وقد عبَّر عن إعجابه به في قوله:

ابنُ زيدونَ عبقريُّ زمانِه قصَّرَ المحسنونَ عن إحسانِه

أخذَ الرّومُ في الجزيرةِ عنْهُ ومشَوا في خيالِه و افتنَانِه

وليس رُوم الأندلس وحدهم هم الذين أخذوا عنه لوعة فؤاده وعمق عشقه، بل أخذهما أيضًا في جنوب فرنسا جماعة التروبادور الذين تأثروا فيما بعد بأصحاب الموشحات والأزجال من الأندلسيين، فعمَلُهُ -أو بعبارة أدق غَزَلُه- كان أوسع التأثير بما فيه من عمق الهوى وعذاب الحب وحرقة العشق"[34].

وفي دراسة حديثة عرض الباحث مصطفى الضبع، أهم القصائد التي تأثرت بالنونية، جاعلاً من النونية نصًّا مفتوحًا امتدت منه نصوصٌ عدة، فهو يرى "النونية نصًّا مفتوحًا وضع ابن زيدون قالبه الأول، وجاء الشّعراء من بعده ليضيفوا رؤاهم، وقد منحهم ابن زيدون الزيت والشموع؛ ليضيء كل منهم شمعة تُضاف لمجموعة من الشموع السابقة، وعبر هذه الرؤية نتجاوز فكرة المقارنة بين النُّصوص إلى رؤية النص/ النُّصوص بوصفها نصًا ذا طبيعة ملحمية قادرًا على تجاوز الزمن، عابرًا العصور، منتشرًا عبر مساحة زمنية قوامها ثمانية قرون، خالقًا حضارة عربية موازية لتلك التي قامت في الأندلس يومًا"[35].

تعددت معارضات النونية أو القصائد المتأثرة بها، السائرة على نهجها آخذة منها بشكل مباشر أو مضمنة منها بعضًا من مفرداتها تخميسًا وتسديسًا، أو بعض صورها أو معانيها، أو طارحة قضايا تتماس مع كثير مما طرحته النونية الأولى، وقد جاءت المعارضات مرتبة زمنيًا بدأها الباحث الضبع بشمس الدين الكوفي623 - 675 هـ / 1226 - 1276م، وانتهى بشكر الله الجر 1907 -1975م[36].

إن بقاء النّصّ ثمانية قرون وهو ينتج نصوصًا أخرى، لَيؤكد الأثر الكبير الذي تركه ابن زيدون في الأدب العربي، "فما بَيْن أول الشّعراء المعارضين وآخرهم تمتد مساحة زمنية تقارب ثمانية قرون عاشها النّصّ على مستوى التَّلقِي الخاص، والتفاعل الشّعري مع النونية، تداولها الشّعراء على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم"[37].

ويخلص جامع ديوان ابن زيدون إلى القول: "وهكذا نرى نونية ابن زيدون قد نفذت إلى قلوب الشّعراء في عصره وما تلاه من عصور؛ فأثارت مشاعرهم، وحرّكت عواطفهم، وإن اختلفت الأزمان، وتعددت الأوطان، وتباينت البواعث والأشجان، والشّعراء المجيدون أبناء علات على اختلاف الظروف والملابسات"[38]. ويزاد على هذا التَّلقِي الخاص بالنَّقد أو الدراسات الأدبية التي قاربت أعمال ابن زيدون بعامة، والنونية بخاصة[39].

رابعًا: النونية بين ابن زيدون والبحتري

يحسن بنا أن نخص ما قاله الدارسون في تأثر ابن زيدون ومعارضته البحتري على وجه الخصوص بالحديث، والشّاعر مؤثِّر ومتأثِّر بعدة شعراء؛ ولكن ارتباط اسم ابن زيدون بالبحتري يجعلنا نحاول كشف أسباب هذه التسمية في نظر الباحثين، وما الذي جعل هذه التسمية ترافق ابن زيدون وتندرج على لسان النُّقاد القدامى والمحدثين؟ فهذا ابن بسام في ذخيرته يقول: "قال بعض أدبائنا إنَّ ابن زيدون بحتري زماننا"[40]، وقد وافقه المقَّري موضحًا سبب ذلك بقوله: "لحسن ديباجته وسهولة معانيه"[41].

ويقول محمد سلامة: "وأفاد شعراء الأندلس كثيرًا من مذهب البحتري، وعلى رأسهم ابن زيدون في سهولة الأسلوب وإشراق الديباجة؛ حتى لقبّه النُّقاد ببحتري الأندلس"[42]. ويقول محقق الدّيوان علي عبدالعظيم في حديثه عن موسيقى شعر ابن زيدون: "أما من ناحية ترتيب الألفاظ وتنسيق الجمل بحيث تنتظمها روح موسيقية واحدة؛ فإن شاعرنا كان حريصًا عليها كل الحرص، وقد استخدم لتنسيقها فنون الترصيع والمقابلة والطباق، فأمدته بأعذب الألحان، ولهذا كان يقسم عباراته في البيت الواحد إلى جمل متموجة تكاد كل موجة منها تعادل زميلتها وتلائمها كل الملاءمة، وهو يضارع البحتري في هذا التنغيم؛ ولهذا لقَّبه الرواة ببحتري الأندلس، وقد بلغ التنغيم الموسيقي عند كل منهما أوجه في الشّعر العربي، فأرقص القلوب وشنّف الآذان، استمع إلى قول شاعرنا:

يـــــا قاطعًـــــا حبـــــلَ ودّي وَوَاصِـــــلاً حَبْـــــلَ صَـــــدّي[43]

وكثيرة هي الآراء التي تقول بتشابه البحتري وابن زيدون في الأسلوب مؤكدة تأثر ابن زيدون بالبحتري؛ حتى إنَّ نونيته التي طارت في العباد جاءت متأثرة بقصيدة البحتري التي مدح فيها ابن طولون.

إنَّ هذه الآراء المتناثرة في كتب النُّقاد بحاجة إلى دراسات تطبيقية تبين أسباب هذا التأثر أو تقف عليه، ومن هذه الدراسات دراسة حديثة لعلي أحمد الحسبان، ففي بحثه الذي تناول تأثير

البحتري في الشّعر الأندلسي عامة، خص جزءًا منه لدراسة تأثر ابن زيدون بالبحتري ومعارضته له، يقول: "المتتبع لأشعار ابن زيدون يجد أن له أشعارًا ليست قليلة تصلح أن تكون نموذجًا ومجالاً لدراسة تأثره بالبحتري والأخذ منه، ولكنني آثرت اختيار قصيدة دون غيرها لتكون نموذجًا لتلك الدّراسة، وسبب هذا الاختيار يكمن في قافيتها ورويها المفارقين لقافية قصيدة البحتري المقابلة لها ورويها، وذلك أن اختلاف القافية والروي إحدى وسائل إخفاء الأخذ من الآخرين، حيث يَعْمِد الشّاعر إلى نقل معنى في موضوع ما إلى موضوع آخر، أو في تغيير القافية والروي في قصيدته، وذلك لأن ابن زيدون على حد تعبير ابن بسام "على كثير إحسانه كثير الاهتدام في النثار والنظام"؛ إذ يعْمِد إلى معاني الآخرين في موضوعات معينة، ويصوغها بألفاظ جديدة، ويخرجها إخراجًا مختلفًا، وتظهر بحُلَّة قشيبة، وكأنه لم يسبق إليها"[44]، وجاءت دراسته الفنية لهاتين القصيدتين لتوضح التقارب بين الأسلوبين.

فدرس قصيدة البحتري في رثاء أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري التي يقول فيها:

بـأيّ أسًـى تُثْنَى الـدّمُوعُ الهَوَامِـلُ وَيُرْجَى زِيَـالٌ مِـنْ جَـوًى لا يُزَايِـلُ؟[45]

وقصيدة ابن زيدون في رثاء أبي الحزم ابن جَهْوَر حاكم قرطبة:

ألـمْ تـرَ أنّ الشّـمسَ قـد ضـمّها القبرُ وأنْ قَدْ كفانا، فقدنَا القمرَ البَدرُ[46]

وقد حلل القصيدتين بالوقوف على الصورة والإيقاع الداخلي والخارجي، مبينًا أثر البحتري في ابن زيدون في تلك الإحصائيات والتحليل. والحق أنَّ الناقد أبدع في توضيح جماليات القصيدتين منتهيًا إلى تقرير مدى التشابه بين أسلوب ابن زيدون والبحتري في الإيقاع.

خامسًا: الرسالة الهزلية ورسالة التربيع والتدوير

ظهر تأثر واضح اتفق عليه بعض النُّقاد والدارسين بين رسالة ابن زيدون الهزلية، ورسالة التربيع والتدوير للجاحظ؛ حيث اتفقتا في الفكرة والأسلوب وبعض الصور الفنية، ولعلَّ من المهم أن

نورد بعض هذه الآراء النَّقدية التي تحدّثت عن هذا التشابه، ثم نحاول أن نخلص إلى أسباب هذا التشابه وملامحه في الرسالتين الأدبيتين.

تحدّث محقّق الدّيوان علي عبدالعظيم عن الرسالة الهزلية فقال: "والدارس لهذه الرسالة يرى ابن زيدون متأثرًا فيها برسالة التربيع والتدوير التي صاغها الجاحظ في السخريّة من أحمد بن عبدالوهاب الكاتب البغدادي، كما أنَّ فيها ملامح من رسالة أبي حيان في ثلب الوزيرين، والأغراض التي قصدها ابن زيدون في رسالته محدودة، ولكنه أسهب فيها إسهابًا مملاً في ذكر الأسماء والحوادث التاريخية بمناسبة وبغير مناسبة، حتى جاوزت السبعين اسمًا، خلط فيها مشاهير العرب بالعجم، والقدماء بالمحدثين، والمعروفين بالمجهولين، ونابغي فنٍّ بنابغي فنٍّ آخر، وبعض هذه الأسماء وهمية، وبعضها رمز إليه ولم يذكره، وبعضها مجهول غير محدد.

ولم يكتفِ بهذا، بل أكثر في رسالته من الاقتباس والتضمين، حتى كادت شخصيته تختفي وراء ما استجلبه من أساليب غيره، وبالغ في استعمال المترادفات مبالغة خرجت عن المألوف"[47].

كما تحدث عن هذا التأثُّر رضوان الداية، الذي تحدَّث عن هذا التشابه في الأسلوب والمنطق والموضوع، "وإذا كانت شخصية أحمد بن عبدالوهاب موضوع (رسالة التربيع والتدوير) للجاحظ، فقد كانت شخصية ابن عبدوس موضوع (الرسالة الهزلية) لأديب الأندلس ابن زيدون، وهي رسالة زاخرة بالفكاهة العذبة والسخريَّة اللاذعة، وقد لاحظ بعض النُّقاد تأثر ابن زيدون في هذه الرسالة بالجاحظ أسلوبًا ومنطقًا، بل وذهب بعضهم إلى أنه واقع تحت تأثير كتّاب مشارقة آخرين مثل أبي إسحاق الصابي، وبديع الزمان الهمذاني، وإنَّ قائمة الكتّاب العرب الساخرين حافلة بأسماء كثيرة لا تتسع لها هذه العجالة، أما الكتابة الشّعرية الساخرة فحديثها يطول"[48].

ثم يوضح أنَّ الازدواج في السجع هو احتذاء للطريقة الجاحظية، وأنَّ طريقته في الإكثار من الأمثال وحلّ الشّعر والتلويح بالإشارات إلى الأشخاص والأحداث لم تكن خاصة في ابن زيدون وتقليده للجاحظ؛ بل أصبحت سمة عامة لأكثر ضروب النثر الأندلسي في عصر ابن زيدون[49].

ويرى إحسان عباس في حديثه عن رسالة ابن زيدون أن "إيثاره للازدواج على السجع، هو إيثاره للطريقة الجاحظية، ولو أخذنا الرسالة الهزلية نموذجًا لوجدناها ذات أهمية في هذا المنزع، في تقليد رسالة التربيع والتدوير، وليس ابن زيدون منفردًا بالعناصر الثلاثة التي اعتمدها في رسائله، وهي الإكثار من الأمثال، وحلّ الشّعر، والتلويح بالإشارات إلى الأشخاص والأحداث، فقد أضحت هذه العناصر سمة عامة لأكثر ضروب النثر الأندلسي في هذا العصر، حتى تكاد تكون بعض الرسائل جمعًا لهذه الأركان جميعًا في نطاق واحد"[50].

ويشير بعد ذلك إلى تأثر عدد من كتاب الأندلس بكتاب المشرق،... ويخلص في إطار حديثه هذا إلى اتباع الكتاب الأندلسيين في العموم للمشارقة بقوله: "ظلوا متبعين للكتاب المشارقة في أساليب الكتابة، مع بعض الاستقلال في الجوانب البسيطة"[51].

وإن من يتصفح الرسالة يستطيع أن يرى بوضوح التشابه بينها وبين رسالة التربيع والتدوير للجاحظ، وقد تعرض الجاحظ لأحمد بن عبدالوهاب واتفق أن هذا الأديب كان قصيرًا مملوءًا، فنعته بأنه مربّع و مدوّر، وهناك من النُّقاد من يرى "أن ابن زيدون قرأ هذه الرسالة وأعجب بها، فحاول أن يصنع على مثالها هذه الرسالة الهزلية وهو يستهلُّها بذم ابن عبدوس،... واعتقد أن ابن زيدون قصد أن يحقق منها غايتين، الأولى: معارضة الجاحظ في رسالة التربيع والتدوير، والثانية: عرض معارضته ونواحٍ من ثقافته، وأنَّ شخصية ابن عبدوس لم تأتِ في هذه الرسالة إلا لخدمة هذين الغرضين، ولم يكن ابن زيدون يهتم كثيرًا -فيما أرى- بأن تجد الرسالة طريقها إلى الشخص المهجو فيها، وإنما كان يرسم أنموذجًا أدبيًّا يدل به على مقدرته واتساع معارفه؛ ولذلك بنى الرسالة على الإشارات التاريخية والاستشهاد بالمروي من الشّعر وحلّ الأبيات، وحشد ما حفظه من أمثال المشارقة، وما تلقّاه من أسماء ومصطلحات في ثقافته الفلسفية المنطقية: "وأن هرمس أعطى بلينوس ما أخذ منك، وأفلاطون"[52].

وإذا سمعنا ذلك حسبنا الجاحظ يتحدث بطريقته الأسلوبية التي تعتمد التنويع في سرد المتعاطفات دون إيثار للسجع.

أما أثر ابن زيدون فيمن تلاه من الأدباء فقد تحدثنا عمّن عارضه من الشّعراء، أما من عارضه في رسالته فنجده في قول إحسان عباس: "إن كثيرًا من الكتاب تأثروا به، ومن أشهرهم محيي الدين بن عبد الظاهر، فقد قلَّده في رسالته الجِدِّيَّة برسالة وجهها إلى الأمير ناصر الدين حسن بن شاور، في شخص تنقصه وأتبعها قصيدة جارى فيها قصيدة ابن زيدون يقول فيها:

العـــلا فـــي ارتشـــافِ دارِ العلـــومِ والحلـــى فـــي انتســـاخِ دارِ الحلـــومِ

وقد عارض الصفدي ابن زيدون وقلَّده في الاستشهاد بالأعلام والأحداث في ترجمته لأستاذه محمد بن يوسف بن علي أبي حيان في كتابه المخطوط أعيان العصر، وكما أولع القدماء بمحاكاة ابن زيدون في شعره ونثره أولعوا بشرح رسالتيه: الجِدِّيَّة والهزلية."[53]

ولعلي أقف عند أوجه التشابه بين الرسالتين التي عنيت بتناولهما من خلال:

دافع الرسالتين: كلتا الرسالتين كانت في هجاء شخصية، اتُّفِق أنها ذات سلطة، فهي في رسالة الجاحظ الكاتب أحمد بن عبدالوهاب، وفي رسالة ابن زيدون الوزير أبو عامر ابن عبدوس.

اعتمد الكاتبان على التهكم والسخرية في رسالتيهما، وقد استعملا أسلوب السخرية بشكل حجاجي، فهما يسوقان الحجج الدامغة بالوصف، والتصوير، والمحسنات البديعية، التي تقنع وتمتّع القارئ.

يقول الجاحظ: "من غريب ما أعطيت وبديع ما أوتيت، أنا لم نرَ مقدودًا واسع الجفرة غيرك، ولا رشيقًا مستفي الخاصرة سواك! فأنت المديد، وأنت البسيط، وأنت الطويل، وأنت المتقارب، فيا شعرًا جمع الأعاريض، ويا شخصًا جمع الاستدارة والطول!"[54].

فالجاحظ هنا يسخر من غريمه بطريقة أدبية؛ حيث أخذ من علم العروض صورة بديعة، صاغها على شكل استعارة، وجمع بين الحجة، وجمال الصورة، فإذا كان أحمد بن عبدالوهاب يعرف

بأنه طويلٌ ورشيقٌ وعريضٌ وقصيرٌ، فهو مثل الشّعر الذي جمع كل الأعاريض، وهو يثبت التناقض الذي لا يقبله العقل.

يقول ابن زيدون: "زاعمة أن المروءة لفظ أنت معناه، والإنسانية اسم أنت جسمه وهيولاه، قاطعة أنك انفردت بالجمال، واستأثرت بالكمال، واستعليت في مراتب الجلال، واستوليت على محاسن الخلال، حتى خلت أن يوسف عليه السلام حاسنك فغضضت منه..."[55].

فكلاهما تظهر أنها في صدد المدح، إلا أن المقصود ضده، وذلك بالمقارنة، وسرد الأعلام من العلماء.

ومن ذلك قول الجاحظ: " تستجهل النظّام، وتستبرد الأصمعي، وتستغبي قيس بن زهير، وتستخف الأحنف بن قيس، وتبارز أبا الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه"[56].

وقول ابن زيدون: "والسليك ابن السلكة إنما عدا على رجليك، وعامر بن مالك إنما لاعب الأسنة بيديك، وقيس بن زهير إنما استعان بدهائك، وإياس بن معاوية إنما استضاء بمصباح ذكائك، وسحبان إنما تكلم بلسانك، وعمرو بن الأهتم إنما سُحِرَ ببيانك..."[57].

فاعتمد كلاهما على الأحداث التاريخية، والأمثال، وحل الشّعر، ومنه قول الجاحظ: "وخبرني أبقاك الله من كان باني ريام، ومن أنشأ كعبة نجران، ومن صاحب غمدان، ومن باني تدمر، ومن صاحب الهرمين، ومنذ كم بُنيت مأرب، وأين كان الأبلق الفرد من المشقر، وأين قصر النوبهار من قصر سنداد"[58].

وفعل ابن زيدون مثله: "وأن الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك، والحمالات بين عبس وذبيان أسندت إلى كفالتك، وأن احتيال هرم بن سنان لعلقمة، وعامر حتى رضيا، كان عن إشارتك، وجوابه لعمر وقد سأله عن أيهما كان ينفر وقع عن إرادتك، وأن الحجاج تقلد ولاية العراق بجدك..."[59].

وقوله: "فالنار ولا العار، والمنية ولا الدنية، والحرة تجوع ولا تأكل بثديها، فكيف وفي أبناء قومي"[60].

فكلاهما اعتمد على الازدواج والسجع، وسرد المتعاطفات، ومنه قول الجاحظ: "والمغرس الطيب، والنصاب الكريم، والطرف الناصع، واللسان البين، والنعمة البهجة، والمخرج السهل، والحديث المونق، مع الإشارة الحسنة، والنبل في الجلسة، والحركة الرشيقة، واللهجة الفصيحة، والتمهل في المحاورة، والهذ عند المناقلة والبديه البديع، والفكر الصحيح، والمعنى الشريف"[61].

وقول ابن زيدون: "وصل وقطع، وثنى وجمع، وأظهر وأضمر، واستفهم وأخبر، وأهمل وقيد، وأرسل وأسند، وبحث ونظر، وتصفح الأديان، ورجّح بين مذهبي ماني وغيلان، وأشار بذبح الجعد..."[62].

وهناك دراسات أخرى لم نتطرق إليها في هذا المجال؛ كونها تنحو المنحى نفسه الذي تناولناه سابقًا بالشرح والتحليل؛ ونكتفي بالإشارة إليها[63].

الخاتمة:

بعد هذه القراءة التحليلية الناقدة للدراسات التي تناولت معارضات ابن زيدون ومدى تأثرها وتأثيرها، يمكن الخروج بالنتائج الآتية:

-كشفت غالبية الدراسات عن أن التأثير في شعر ابن زيدون كان أكثر منه في نثره، وخصوصًا في نونيته المشهورة.

- اكتفت بعض تلك الدراسات بسرد المعارضات والقصيدة الأصل دون تبيان لأي تذوق جمالي وبلاغي للأبيات أو القصيدة المتناولة بشكل عام، تاركة للمتلقِي القراءة والتذوق، إلا أنها كشفت عن مدى تأثير ابن زيدون في الأدب العربي.

-كما وقفت بعض الدراسات على هذه المعارضات بالموازنة بين معاني القصائد المعارضة وإظهار مدى التأثر بالألفاظ والإيقاع، فكانت المعارضات –حسب النُّقاد- هي أبرز تعبير عن التأثر والتأثير، وإن اختلفت الأشكال التي حوت هذا التأثير والتأثر، فإنها أثبتت ما لأدب ابن زيدون من قيمة وثقل في النَّقد والأدب العربيين.

- أثبتت غالبية الدراسات التي تناولت المعارضات الشعرية لشعر ابن زيدون أن نونيته كانت أكثر تناولًا لدى النقاد والدارسين؛ مما يدل على المكانة الأدبية العظيمة التي بلغتها النونية، وهذا الاهتمام الكبير الذي حظيت به من الدارسين له أسبابه وميزاته التي أسهمت في أن تكون موضوع بحث لدى الكثير منهم قديمًا وحديثًا، فقد حاكوها وشرحوها وحللوا أبياتها وتغنوا بها؛ مما جعل النونية نصًّا مفتوحًا انبثقت عنه نصوصٌ عدة.

-أما من جهة التأثر فاقتصر ظهوره على تلك الدراسات التي دارت حول الآراء التي تقول بتشابه البحتري وابن زيدون في الأسلوب، مؤكدة تأثر ابن زيدون بالبحتري، حتى أنَّ نونيته التي طارت في العباد جاءت متأثرة بقصيدة البحتري التي مدح فيها ابن طولون.

- أما من جهة النثر فاتفق بعض النُّقاد والدارسين على أن هناك تأثرًا واضحًا بين رسالة ابن زيدون الهزلية، ورسالة التربيع والتدوير للجاحظ؛ حيث اتفقتا في الفكرة والأسلوب وبعض الصور الفنية، مبرزين أوجه التشابه وملامحه بين الرسالتين.

-أظهرت تلك الدراسات الكثيرة أهمية شعر ابن زيدون بشكل خاص وقيمته النقدية في الأدب العربي بشكل عام، وفي الأدب الأندلسي على وجه الخصوص، وفتحت آفاقًا واسعة لتلقي شعر ابن زيدون وتناوله بالبحث والدراسة بمختلف الأدوات والمناهج النقدية القديمة والحديثة.

الهوامش والإحالات:

(1) ينظر: خضر، الأصول المعرفية لنظريّة التَّلقِّي: 121.

(2) ينظر: سلدن، النظريّة الأدبية المعاصرة: 158.

(3) غزال، معارضات قصائد ابن زيدون: 3.

(4) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: 362/1.

(5) ينظر: غزال، معارضات قصائد ابن زيدون: 4.

(6) ينظر: نفسه: 20.

(7) غزال، معارضات قصائد ابن زيدون: 22.

(8) البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: 28.

(9) ينظر: غزال، معارضات قصائد ابن زيدون: 21، 22.

(10) ينظر: نفسه: 23.

(11) ينظر: غزال، معارضات قصائد ابن زيدون: 163. ينظر: ابن زيدون، ديوانه: 343.

(12) ينظر: ابن زيدون، ديوانه: 261.

(13) ينظر: غزال، معارضات قصائد ابن زيدون: 299. ينظر: ابن زيدون، ديوان ابن زيدون: 139.

(14) ينظر: غزال، معارضات قصائد ابن زيدون: 301.

(15) ينظر: السعدي، ابن زيدون شاعر الحب والشكوى: 162

(16) العكبري، التبيان في شرح الديوان: 233.

(17) ينظر: السعدي، ابن زيدون شاعر الحب والشكوى: 68.

(18) ينظر: نفسه: 68.

(19) البجاري، المعارضات في الشّعر الأندلسي: 153.

(20) نفسه: 68، 69.

(21) ابن زيدون، ديوانه: 141.

(22) نفسه: 88.

(23) نفسه: 88.

(24) نفسه: 108.

(25) عبدالعظيم، ابن زيدون عصره وحياته وأدبه: 216، 252.

(26) الصفدي، تمام المتون: 12.

(27) ابن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن العيان: 245.

(28) ابن زيدون، ديوان ابن زيدون ورسائله: 108.

(29) الشناوي، الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي: 10.

(30) البحتري، ديوانه: 826/4.

(31) الضبع، استواء الضوء وانكساره: 6.

(32) الصفدي، تمام المتون: 13.

(33) نفسه: 13.

(34) ضيف، ابن زيدون: 43.

(35) الضبع، استواء الضوء وانكساره: 6.

(36) ينظر: نفسه: 6.

(37) نفسه: 8.

(38) عبدالعظيم، آثار ابن زيدون في الأدب العربي: 366.

(39) ينظر: الضبع، استواء الضوء وانكساره: 10.

(40) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: 196/1.

(41) المقّرّي، نفح الطيب: 385/3.

(42) سلامة، الأدب العربي في الأندلس: 111.

(43) ابن زيدون، ديوان ابن زيدون: 105.

(44) الحسبان، أثر البحتري في الشّعر الأندلسي: 253. والفقرة المنقولة عن: ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: 355/1.

(45) الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: 464.

(46) ابن زيدون، ديوان ابن زيدون ورسائله: 182.

(47) نفسه: 87، 88.

(48) الداية، تاريخ النَّقد الأدبي في الأندلس: 45.

(49) نفسه: 46، وما بعدها.

(50) إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي: 81.

(51) نفسه: 83.

(52) نفسه: 154.

(53) نفسه: 166.

(54) الجاحظ، التربيع والتدوير: 13.

(55) ابن زيدون، ديوان ابن زيدون ورسائله: 631،632.

(56) الجاحظ، رسالة التربيع والتدوير: 23.

(57) ابن زيدون، ديوان ابن زيدون ورسائله: 641.

(58) الجاحظ، رسالة التربيع والتدوير: 36.

(59) ابن زيدون، ديوان ابن زيدون ورسائله: 642، 643.

(60) نفسه: 666.

(61) الجاحظ، رسالة التربيع والتدوير: 61.

(62) ابن زيدون، ديوان ابن زيدون ورسائله: 650، 651.

(63) ومن تلك الدراسات: نوفل، تاريخ المعارضات في الشّعر العربي: 101، 148، 207، 210، 222. السماعيل، المعارضات الشّعرية: 132، 133، 242، 243. التطاوي، المعارضات الشّعرية بين التقليد والإبداع: 240، 242، 249، 266، وبوذينه، نونية ابن زيدون أضحى التنائي ومعارضاتها.

قائمة المصادروالمراجع:

1) الآمدي، الحسن بن بشر، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق: السيد أحمد صقر وعبدالله المحارب، دار المعارف، مكتبة الخانجي، مصر، ط4، 1994م.
2) البجاري، يونس طركي، المعارضات في الشّعر الأندلسي - دراسة نقدية موازنة، دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت، 2008م.
3) البحتري، الوليد بن عبيد بن يحيى، ديوان البحتري، تحقيق: كامل الصيرفي، دار المعارف، بالقاهرة، ط3، د.ت.
4) ابن بسام، أبو الحسن علي، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1939م.
5) بوذينه، محمد، نونية ابن زيدون أضحى التنائي ومعارضاتها، منشورات محمد بوذينه، تونس، 1995م.
6) البيطار، عبدالرزاق، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق: محمد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، 1993م.
7) التطاوي، عبدالله، المعارضات الشّعرية بين التقليد والإبداع، دار الثقافة، القاهرة، 1988م.
8) الجاحظ، عمرو بن بحر، التربيع والتدوير، تحقيق: شارل بلات، المعهد الفرنسي، دمشق، 1955م.
9) الحسبان، علي، أثر البحتري في الشّعر الأندلسي، في القرن الخامس، مطبعة السفير، الأردن، ط1، 2017م.
10) ابن خاقان، الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي، قلائد العقيان ومحاسن العيان، تحقيق: حسين يوسف خربوش، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1989م.
11) خضر، ناظم عودة، الأصول المعرفية لنظريّة التَّلقِّي، دار الشروق، عمان، 1997م.
12) الداية، رضوان، تاريخ النَّقد الأدبي في الأندلس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1993م.
13) ابن زيدون، أحمد بن عبد الله، ديوان ابن زيدون ورسائله، تحقيق: علي عبدالعظيم، دار نهضة مصر، القاهرة، 1956م.

14) سلدن، رامان، النظريّة الأدبية المعاصرة، ترجمة: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1996م.
15) السعدي، عيسى إبراهيم، ابن زيدون شاعر الحب والشكوى، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان، 2011م.
16) سلامة، علي محمد، الأدب العربي في الأندلس تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1989م.
17) السماعيل، عبدالرحمن إسماعيل، المعارضات الشّعرية، النادي الثقافي بجدة، السعودية، ط1، 1994م.
18) الشناوي، علي غريب، الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، مكتبة الآداب، القاهرة، 2003م.
19) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله، تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1969م.
20) الضبع، مصطفى، استواء الضوء وانكساره، قراءة في تداعيات أضحى التنائي، مجلة الشّعر، القاهرة، ع122، 2006م.
21) ضيف، شوقي، ابن زيدون، دار المعارف، القاهرة، ط11، د.ت.
22) عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق، عمان، 1997م.
23) عبدالعظيم، علي، ابن زيدون عصره وحياته وأدبه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1955م.
24) عبدالعظيم، علي، آثار ابن زيدون في الأدب العربي، مجلة الكتاب، جهة الإصدار، البلد، 1975م.
25) العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين، التبيان في شرح الديوان، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة، لبنان، ط1، د.ت.
26) غزال، عدنان محمد، معارضات قصائد ابن زيدون، مؤسسة البابطين للإبداع الشّعري، الكويت، ط1، 2004م.
27) المقّرّي، شهاب الدين أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.
28) نوفل، محمد محمود قاسم، تاريخ المعارضات في الشّعر العربي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط1، 1982م.